

إعداد:

د. مصطفى أبو العزائم
أخصائي الطب النفسي

الذُّهَانُ

الذهان هو مصطلح طبي نفسى يشير للحالات العقلية التى يحدث فيها خلل ضمن أحد مكونات عملية التفكير المنطقى والإدراك الحسى. والأشخاص الذين يعانون من الذهان قد يتعرضون لنوبات هلوسة، والتمسك بمعتقدات توهمية (مثلا توهمات ارتيابية)، وقد يتمثلون حالات من تغيير الشخصية مع مظاهر تفكير مفكك وصعوبات فى التفاعل الاجتماعى مع الأشخاص الآخرين وخلل فى أداء المهام اليومية. لذلك كثيراً ما توصف هذه الحالات بأنها تدخل فى نطاق « فقدان الاتصال مع الواقع ».

الاضطرابات الذهانية على نحو متشابه: فقد تتغير الأعراض لدى المريض الواحد بمرور الزمن أيضاً. وفى القسم التالى نستعرض بعض الأعراض التى غالباً ما ترتبط بالاضطرابات الذهانية. إنَّ العَرَضَيْنِ الرئيسَيْنِ للاضطراب الذهانى هما الهلوسات والأوهام. الهلوسات تصورات وأفكار زائفة. وهى تجعل المريض يعيش أشياء لا تحدث فى الواقع الحقيقى. وتعدُّ الهلوسات البصرية والسمعية من أشكال الهلوسات الشائعة، حيث يرى المريض ويسمع أشياء غير موجودة. يُمكن للهلوسات أن تصيب أية حاسة من حواس الإنسان الخمس:

- السمع.
- البصر.
- الشم.
- التذوق.
- اللمس.

قد تجعل الهلوسة المريض يرى أشياء غير موجودة، ويسمع أصواتاً غير موجودة، ويشم روائح غير موجودة أيضاً. ويُمكن أن تسبب الهلوسة أيضاً إحساس المريض بطعم غريب فى فمه، أو بشيء على جلده رغم عدم وجود شيء فى واقع الأمر.

تعدُّ الأوهام عَرَضاً آخر من أعراض الاضطرابات الذهانية. والأوهام هى قناعات زائفة. إنَّ الشخص الذى يعاني من الأوهام يعتقد بأشياء مستحيلة أو غريبة جداً. وهو يتمسك بهذه القناعة حتى إذا توفرت أمامه أدلة أو معلومات كافية للبرهنة على أنَّ هذا الشيء غير صحيح. يُمكن للأوهام أن تتخذ أشكالاً كثيرة. وهناك شكل شائع للأوهام ألا وهو هوس العظيمة. يُمكن للأوهام العظيمة أن تجعل المريض يعتقد أنه أكثر أهمية بكثير ممَّا



مشكلات صحية أخرى، وتكون مؤقتة أيضاً. وتزول أعراض الهلوسة والأوهام عندما تجرى معالجة المشكلة التى سببت هذه الأعراض فى الأصل. عندما تكون الأعراض شديدة عند بعض المرضى المصابين بالاضطرابات الذهانية، فإنَّ هؤلاء المرضى يجدون صعوبة فى المحافظة على صلتهم بالواقع. وهذا ما يجعل قيامهم بمتطلبات الحياة العادية اليومية أمراً شديداً الصعوبة. لكنَّ الأمر الجيد هو أنَّ حالة الأشخاص المصابين بهذه الأعراض الذهانية الشديدة يُمكن أن تتحسن نتيجة المعالجة.

الأعراض

لا يشعر مختلف المرضى بأعراض

والكلمة بالإنجليزية مشتقة من اللغة الإغريقية ومعناها الحالة غير الطبيعية للذهن. وهى تستعمل لتصف خللاً فى اتصال الإنسان بالواقع المحيط به. والمصاب يعاني من أحاسيس وهمية ومن أفكار وهمية. وأحياناً يتصرف بشكل غريب مع قلة تفاعله مع الناس حوله وقلة قدرته على العناية بنفسه والقيام بالأعمال اليومية.

اضطرابات الذهان هى اضطرابات عقلية شديدة تُسبب أشكالاً شاذة من التصوُّر والتفكير. إنَّ هذه الاضطرابات تجعل المريض يفقد صلاته بالواقع. يجد الشخص المصاب بالذهان صعوبة فى التمييز بين ما هو حقيقى وما هو مُتخيل. والأعراض الرئيسية للذهان هى الأوهام والهلوسات. الأوهام هى قناعات زائفة من قبيل الظن بأنَّ شخصاً يتآمر على المريض، أو بأنَّ التليفزيون يرسل له رسائل سرية. وقد يعتقد مريض الذهان بصحة هذه الخيالات، حتى إذا توفر دليل واضح على أنَّها غير صحيحة. الهلوسات هى تصورات زائفة من قبيل سماع أو رؤية أشياء غير موجودة فى الحقيقة، أو الإحساس بوجود تلك الأشياء. ومن المستبعد أن يدرك المريض الذى يعاني من الهلوسة أنَّ هذه الأشياء كلها غير حقيقية. هناك أنواع متعدِّدة من الاضطرابات الذهانية التى يُمكن أن تسبب أوهاماً وهلوسات، ومنها:

- الاضطراب الذهانى القصير.
- الاضطراب الوهامى.
- الاضطراب الفصامى العاطفى.
- الفصام.
- الاضطراب الفصامى الشكل.
- الاضطراب الذهاني المشترك.

وهناك اضطرابات ذهانية تكون ناجمة عن



هو في الواقع. وبعد وهم الاضطهاد شكلاً آخر من أشكال الأوهام الذهانية. وهذا الوهم يجعل المريض يعتقد أن هناك مؤامرة من أجل السيطرة عليه أو معاقبته أو مهاجمته بصورة من الصور.

ومن الأوهام الأخرى

- وهم الغيرة، أو الشك المستمر في وفاء الحبيب وإخلاصه.
- التشبث الرومانسي على شخص آخر.

- أوهام فيما يخص الجسم، وتكون هذه الأوهام عادة على شكل تخيل وجود أمراض لا وجود لها في الواقع.

وهناك أعراض للاضطراب الذهاني لا علاقة لها بالهوس ولا بالأوهام. ومنها:

سلوكيات غريبة يمكن أن تكون خطيرة أيضاً. تقلبات مزاجية أو غير ذلك من الأعراض المتعلقة بالمزاج من قبيل الميل إلى الاكتئاب أو الحالات الهوسية.

حالة البرود والانفصال عن الآخرين مع عدم القدرة على التعبير عن المشاعر.

التفكير المشوش.

الأسباب

يعتقد الباحثون أن هناك عوامل كثيرة يمكن أن تساهم في هذه الاضطرابات؛ فهناك عوامل وراثية وعوامل بيئية وعوامل بيولوجية أيضاً. تكون اضطرابات الصحة النفسية متوارثة في العائلات عادة. ولهذا السبب، يري كثير من الاختصاصيين أن اضطرابات الذهان لها علاقة بالوراثة. من الممكن أيضاً أن تكون الاضطرابات الذهانية ناجمة عن عوامل البيئة المحيطة. والمقصود بالبيئة المحيطة هنا هو الظروف التي تحيط بنشأة الإنسان. ومن العوامل البيئية التي يمكن أن تكون على علاقة باضطرابات الذهان:

- التوتر والشدّة النفسية.
- إساءة استخدام المخدرات.
- التعرض للعنف.

- حدوث تغيرات كبيرة في حياة الإنسان. من الممكن أن تكون اضطرابات الذهان مرتبطة أيضاً بعدم توازن المواد الكيميائية في الدماغ. إن الدوبامين مادة تساعد الخلايا العصبية في الدماغ على تبادل الرسائل فيما بينها؛ وحالة عدم التوازن في هذه المادة يمكن أن تسبب هلوسات وأوهاماً. من المقدر أن واحداً بالمائة من البشر يعانون من شكل من أشكال الاضطراب الذهاني. وغالباً ما يظهر الاضطراب أواخر سنوات المراهقة وأواخر العقد الرابع من العمر. وتصيب هذه الاضطرابات الرجال والنساء على نحو متساوٍ عادة.

التشخيص

لا توجد اختبارات طبية قادرة على تشخيص الاضطرابات الذهانية. يجب أن يجري التشخيص من قبل طبيب متخصص. والطبيب النفسي هو الطبيب المتخصص في الاضطرابات النفسية والانفعالية والسلوكية. لا بد من إطلاع الطبيب على التاريخ الاجتماعي والطبي الكامل للمريض حتى يستطيع تشخيص اضطراب الذهان. وقد يسأل الطبيب النفسي

عن الأعراض وعن تاريخ العائلة. قد يطلب الطبيب مقابلة أشخاص من أصدقاء المريض أو من أفراد عائلته؛ فهذا يساعده على تحديد التغيرات التي يمكن أن تكون قد حدثت في سلوك المريض.

وهناك اختبارات كثيرة يمكن أن يستفيد منها الطبيب من أجل استبعاد احتمال مسؤولية أمراض جسدية أخرى عن الأعراض. من الممكن أن يخضع المريض لفحوص الدم ولتصوير الدماغ وإلى التصوير بالأشعة السينية. يمكن لهذه الاختبارات أن تكون مفيدة للتأكد من أن الأعراض غير ناجمة عن مشكلة صحية أخرى.

العلاج

هناك نوعان فقط من الاضطرابات الذهانية التي يمكن اعتبارها مؤقتة وقابلة للعلاج:

- الاضطراب الذهاني الناجم عن تعاطي بعض المواد.
- الاضطراب الذهاني الناجم عن حالات صحية.

من الممكن في هاتين الحالتين أن تزول الأوهام والهلوسات زوالاً دائماً بعد خضوع المريض للعلاج. لا يوجد علاج نهائي لأنواع الأخرى من الاضطرابات الذهانية. لكن المعالجة يمكن أن تقيّد في ضبط الأعراض وتخفيفها؛ فمع الاستفادة من هذه المعالجة، يمكن لكثير من المرضى أن يتحسنوا إلى حد يجعلهم قادرين على مواصلة حياتهم على نحو مقبول. تختلف معالجة الاضطرابات الذهانية باختلاف الاضطراب. وقد يمكن استخدام أدوية لضبط الأعراض، إضافة إلى المعالجة النفسية الكلامية.

وهناك أدوية مضادة للذهان يمكنها تخفيف كثير من أعراض الاضطرابات الذهانية. وهذه الأدوية تعمل من خلال تغيير التوازن الكيميائي لبعض المواد في الدماغ. من الممكن أن يتطلب الأمر محاولات متعددة قبل التوصل إلى معرفة الدواء الذي يكون له مفعول أفضل بالنسبة للمريض. لا بد من استشارة الطبيب لمعرفة الأدوية التي يمكن أن تكون ناجحة. يمكن تجنب

أو تقليل حالات الانتكاس من خلال المواظبة على تناول الدواء طوال المدة التي يقررها الطبيب؛ فالأعراض تعود إلى الظهور إذا لم يتناول المريض أدويته. ولا يجوز أبداً أن يبدأ المريض بتناول أي دواء ولا أن يتوقف عن تناوله من غير موافقة الطبيب أولاً. بعد العثور على الدواء المناسب، يمكن أن يستفيد المريض من بعض أشكال المعالجة النفسية الاجتماعية.

إن المعالجة النفسية الاجتماعية تركز على مساعدة المريض فيما يتعلق بالجزء الاجتماعي والانفعالي من مرضه. وتعد مهارات تدبير المرض من الأمثلة على المعالجات النفسية الاجتماعية؛ فهذا النوع من المعالجة قادر على مساعدة مريض الاضطراب الذهاني على تعلم كيفية التعامل مع مرضه. يعد التثقيف العائلي أحد أشكال المعالجة النفسية الاجتماعية. ويركز هذا التثقيف على طرق من أجل مساعدة العائلة كلها على تعلم كيفية تلاؤم أفرادها مع هذه الحالة المرضية في حياتهم اليومية. من الممكن أيضاً أن تكون إعادة التأهيل مفيدة في مساعدة مريض الاضطراب الذهاني في العثور على عمل. كما تتضمن أيضاً تعليم المريض بعض المهارات المتعلقة بالحياة اليومية. وهناك أيضاً مجموعات المساعدة الذاتية التي توفر الدعم للأشخاص المصابين بالاضطرابات الذهانية ولعائلاتهم أيضاً. والمعالجة بجلسات تنظيم إيقاع المخ شكل آخر يُستخدم لمعالجة حالات الاكتئاب الشديد. لكن من الممكن استخدامه أيضاً مع أمراض نفسية أخرى من قبيل الفصام مثلاً. خلال المعالجة بجلسات تنظيم إيقاع المخ، يجري تمرير تيار كهربائي لفترة وجيزة عبر الدماغ، وتكون هذه المعالجة مفيدة في «إعادة ترتيب» الدماغ وتخفيف الأعراض.

وبعد دخول المستشفى خياراً ممكناً في الحالات الخطيرة من الاضطرابات الذهانية. ويوصى الطبيب عادة بإدخال المريض إلى المستشفى عند وجود احتمال لقيام المريض بإيذاء نفسه أو بإيذاء الآخرين.